أضواء البيان

@ 457 @ عَذَابٌ أَلِيمٌ { فَأْتِي رَسُولًا صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَسْقِ
لَمْضِرًا إِنَّكَ لَجَرِيءٌ) فاستسقى فسقوا . فنزلت { إِنْ زَكَّكُمْ عَآئِدُونَ } فلما أصابتهم
الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية . فأنزل الله عز وجل : { يَوْمَ نَبِطِشُ
الْبِطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنْ زَكَّآ مُنْتَقِمُونَ } يعني يوم بدر . .
باب قوله تعالى : { رَبِّ زَكَاكَ أَكْشَفَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنْ زَكَّآ مَوْمِنُونَ } حدثنا
يحيى ، حدثنا وكيع عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : دخلت على عبد الله فقال : (إن من العلم أن تقول لما لا تعلم : وإني أعلم ، إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم { قُلْ
مَآ أَسْأَلُكُمْ عَآلِيَهُ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ }) إن
قريشاً لما غلبوا النبي صلى الله عليه وسلم واستعصوا عليه قال : (اللهم أعني عليهم
بسبع كسبع يوسف) فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد ، حتى جعل أحدهم يرى
ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا . { رَبِّ زَكَاكَ أَكْشَفَ عَنَّا
الْعَذَابَ إِنْ زَكَّآ مَوْمِنُونَ } فقيل له : إن كشفنا عنهم عادوا . فدعا ربه فكشف عنهم
فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدر . فذلك قوله : { يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ
مُّبِينٍ } إلى قوله جل ذكره { إِنْ زَكَّآ مُنْتَقِمُونَ } انتهى بلفظه من صحيح البخاري . .
وفي تفسير ابن مسعود رضي الله عنه لهذه الآية الكريمة ما يدل دلالة واضحة أن ما أذيقته هذه
القرية المذكورة في (سورة النحل) من لباس الجوع أذيقه أهل مكة ، حتى أكلوا العظام ،
وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من شدة الجوع . وهذا التفسير من ابن مسعود رضي
الله عنه له حكم الرفع . لما تقرر في علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب
النزول له حكم الرفع . كما أشار له صاحب طلعة الأنوار بقوله : وفي تفسير ابن مسعود رضي
الله عنه لهذه الآية الكريمة ما يدل دلالة واضحة أن ما أذيقته هذه القرية المذكورة في (سورة النحل)
من لباس الجوع أذيقه أهل مكة ، حتى أكلوا العظام ، وصار الرجل منهم يتخيل
له مثل الدخان من شدة الجوع . وهذا التفسير من ابن مسعود رضي الله عنه له حكم الرفع .
لما تقرر في علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب النزول له حكم الرفع . كما
أشار له صاحب طلعة الأنوار بقوله : % (تفسير صاحب له تعلق % بالسبب الرفع له محقق) %
وكما هو معروف عند أهل العلم . وقد قدمنا ذلك في (سورة البقرة) في الكلام : على قوله
تعالى : { فَأَوْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ } . .

وقد ثبت في صحيح مسلم أن الدخان من أشراط الساعة . ولا مانع من حمل الآية الكريمة على الدخانين : الدخان الذي مضى ، والدخان المستقبل جمعاً بين الأدلة . وقد قدمنا أن التفسيرات المتعددة في الآية إن كان يمكن حمل الآية على جميعها فهو أولى . وقد قدمنا أن ذلك هو الذي حققه أبو العباس بن تيمية رحمه الله في رسالته ، في علوم القرآن ، بأدلته .